غدير خم

غَديرُ خُم هو :

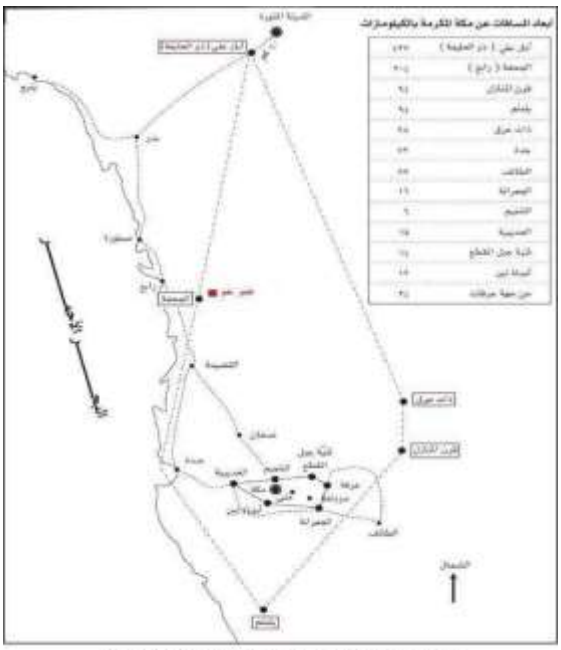

مخطط مواقيت الإحرام وبداخلها منطقة الحرم مع الطرق المؤدية إليها

موضع بين مكة والمدينة، وهو واد عند الجحفة به غدير، يقع شرق رابغ بما يقرب من (٢٦) كيلاً، ويسمونه اليوم الغربة، وخم اسم رجل صباغ نسب إليه الغدير، والغدير هو: مستنقع من ماء المطر.

أرسل النبي ρ علي بن أبي طالب خلف خالد بن الوليد إلى اليمن ليخمّس الغنائم ويقبض الخُمس، فلما خمّس علي الغنائم، كانت في الغنائم وصيفة هي أفضل ما في السبي، فصارت في الخُمس، ثم إن علياً خرج ورأسه مغطى وقد اغتسل، فسألوه عن ذلك، فأخبرهم أن الوصيفة التي كانت في السبي صارت له فتسرى بها، فكره البعض ذلك منه، وقدم بريدة بن الحصيب بكتاب خالد إلى النبي ρ، وكان ممن يبغض علياً فصدق على كتاب خالد الذي تضمن ما فعله علي، فسأله النبي ρ : يا بريدة أتبغض علياً ؟ فقال : نعم، فقال النبي ρ : لا تبغضه فإنه له في الخُمس أكثر من ذلك .

فلما كانت حجة الوداع، رجع علي من اليمن ليدرك الحج مع النبي ρ، وساق معه الهدي، وقد تعجل علي ليلقى الرسول ρ بمكة، واستخلف رجلاً من أصحابه على الجند، فكسا ذلك الرجل الجند حللاً من البز الذي كان مع علي، فلما دنا الجيش من مكة خرج علي ليلقاهم، فإذا عليهم الحلل، فقال لنائبه : ويلك ما هذا ؟! قال : كسوت القوم ليتجملوا به إذا قدموا في الناس، قال : ويلك، انزع قبل أن تنتهي بهم إلى الرسول ρ، فنزع الحلل وردها إلى البز، فأظهر الجيش شكواه لما صنع بهم علي .

كما وأن أصحاب علي τ طلبوا منه أن يركبوا ويريحوا على إبل الصدقة بحجة أن بإبلهم خللاً وضعفاً، فأبى عليهم ذلك وقال: (إنما لكم منها سهم كما للمسلمين)، فعندما ذهب إلى الحج سأل أصحابه خليفته ما كان علي منعهم إياه، فوافق على ذلك، فلما جاء علي عرف أن الإبل قد ركبت، فذم خليفته ولامه، وعد بعض أصحاب علي ذلك منه غلظة وتضييقاً، فشكاه أبو سعيد الخدري إلى النبي ρ، فوافق الرسول ρ على هذا المسلك من علي، فندم أبو سعيد على شكواه، وقال ..) : والله لا أذكره بسوء أبداً سراً ولا علانية، فلما اشتكى الناس علياً قام رسول الله ρ خطيباً فقال : أيها الناس، لا تشكوا علياً، فوالله إنه لأخشن في ذات الله – أو في سبيل الله – من أن يُشتكى .

وفي رواية كما عند مسلم في الصحيح عن زيد بن أرقم قال : قام فينا رسول الله ρ خطيباً بماء يدعى خما، بين مكة والمدينة . فقال : أما بعد أيها الناس إنما أنا بشر يوشك أن يأتيني رسول ربي فأجيب ربي، وإني تارك فيكم ثقلين، أولهما كتاب الله فيه الهدى والنور، فخذوا بكتاب الله واستمسكوا به، فحث على كتاب الله ورغّب فيه، ثم قال وأهل بيتي، أذكركم الله في أهل بيتي، قالها ثلاثاً .

وفي رواية بعد أن حمد الله وأثنى عليه: يا أيها الناس إنه لم يبعث نبي قط إلا عاش نصف ما عاش الذي قبله، وإني أوشك أن أُدعى فأُجيب، وإني تارك فيكم ما لن تضلوا بعده كتاب الله، ثم قام وأخذ بيد علي τ فقال : من كنت مولاه فعلي مولاه .

وقد ورد خبر غدير خُم في زيادات عبد الله على مسند الإمام أحمد عن زيد بن أرقم قال : نزلنا مع رسول الله ρ بواد يقال له وادي خم، فأمر بالصلاة فصلاها بهجير، قال : فخطبنا وظُلل لرسول الله ρ بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال : ألستم تعلمون، ألستم تشهدون إني أولى بكل مؤمن من نفسه ؟ قالوا : بلى، قال : فمن كنت مولاه فإن علياً مولاه، اللهم عاد من عاداه ووال من والاه .

تحليل الأحاديث ..

لهذه الأحاديث سبب يظهر به معناه، فقد كان رسول الله ρ قد أرسل علياً إلى اليمن قبل خروجه من المدينة لحجة الوداع، وفي سفره هذا حصلت عدة أمور وجد أصحاب علي في أنفسهم عليه، منها :

١. كان فيما غنم المسلمون جارية جميلة، ولما قسم علي الغنيمة وقعت في سهمه، فتسرى بها، فأنكر عليه أصحابه.
٢. أن علياً τ لما أحس بدنو الحج استخلف على أصحابه رجلاً، وسبقهم إلى النبي ρ بمكة، وعمد الرجل وكسا كل واحد من أصحابه حلة من الثياب التي كانت مع علي، ولما دنا الجيش وخرج علي ليلقاهم فإذا عليهم حلل ن فانتزعها منهم فأظهر الجيش شكواه .
٣. أن أصحاب علي τ عندما رأوا أن في إبلهم ضعفاً، طلبوا منه أن يركبوا إبل الصدقة ويريحوا إبلهم، فأبى ذلك، ولما ذهب علي للحج أعطاهم ذلك من استخلفه عليهم، وعندما لقيهم علي ورأى خللاً في إبل الصدقة لامه على فعله هذا .

وبسبب هذه الأمور كثر القيل والقال في علي واشتهر الكلام فيه في الحجيج وبالأخص بين أهل المدينة، ولم يرد الرسول ρ أن يفعل ذلك أثناء موسم الحج، لأن الحادثة رغم انتشارها بقيت محدودة في أهل المدينة، كما أنه لم يؤخره حتى يصل المدينة حتى لا يُمكن للمنافقين من استغلال مثل هذه الحادثة في مكائدهم.

وبعد فراغه ρ من الحج، وفي أثناء عودته إلى المدينة، قام في الناس خطيباً فبرأ ساحة علي ورفع من قدره ونبه على فضله ونوه بشأنه، ليزيل ما وقر في نفوس كثير من الناس وبالأخص من كان معه في اليمن، وأخذوا عليه بعض الأمور، بسبب ما جرى له من أصحابه.

و مما يدل على أن النبي ρ أراد من خطبته هذه بيان فضل علي للذين لم يعرفوا فضله ، أنه عندما قام عنده بريدة بن الحصيب يتنقص من علي– وكان قد رأى من علي جفوة – ، تغير وجه النبي ρ وقال : يا بريدة ألست أولى بالمؤمنين من أنفسهم ..

إذن فمعنى الحديث: هذه فضيلة بينة لعلي بن أبي طالب τ، ومعناه : من كان النبي ρ مولاه فعلي والمؤمنون مواليه، دليل ذلك قول الله تبارك وتعالى (والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض) وقال (والذين كفروا بعضهم أولياء بعض)، والولي والموالى في كلام العرب واحد، والدليل عليه قوله تبارك وتعالى (ذلك بأن الله مولى الذين آمنوا وأن الكافرين لا مولى لهم)، أي لا ولي لهم وهم بيده وهو مولاهم، وإنما أراد لا ولي لهم، وقال (فإن الله هو مولاه وجبريل وصالح المؤمنين)، وقال الله (الله ولي الذين آمنوا يخرجهم من الظلمات إلى النور)، وقال : (ومن يتول الله ورسوله

والذين آمنوا فإن حزب الله هم الغالبون)، وإنما هذه منقبة من النبي ρ لعلي τ، وحث على محبته وترغيب في ولايته لما ظهر من ميل المنافقين عليه وبغضهم له . أهـ .

وفي كتاب الفضائل

ما دل على مقصود النبي ρ من ذلك ، وهو أنه لما بعثه إلى اليمن، كثرت الشكاة منه، وأظهروا بغضه، فأراد النبي ρ أن يذكر اختصاصه به ومحبته إياه، ويحثهم بذلك على محبته وموالاته وترك معاداته، فقال : (من كنت وليه فعلي وليه)، وفي بعض الروايات (من كنت مولاه فعلي مولاه، اللهم وال من والاه وعاد من عاداه)، والمراد به ولاء الإسلام ومودته، وعلى المسلمين أن يوالي بعضهم بعضاً لا يعادي بعضهم بعضاً، وهو في معنى ما ثبت عن علي τ أنه قال : (والذي فلق الحبة وبرأ النسمة إنه لعهد النبي الأمي ρ إلي أنه لا يحبني إلا مؤمن ولا يبغضني إلا منافق).

إن الإمام الطبري قد أثبت أن أحق الناس بالخلافة بعد النبي ρ وأولاهم بالإمامة أبو بكر الصديق ثم عمر بن الخطاب ثم عثمان بن عفان ثم علي بن أبي طالب رضي الله عنهم أجمعين، وأن ترتيبهم في الفضل كترتيبهم في الإمامة . ولم يتعرض الإمام الطبري أيضاً لحديث الغدير ولا للإمامة عند تفسيره لآية كمال الدين (اليوم أكملت لكم دينكم) بل أثبت بسند صحيح أن هذه الآية نزلت في يوم عرفة خلافاً لمن قال إنها نزلت يوم غدير خم. إذ بين أنها نزلت في حجة الوداع لتبين للناس أن الله سبحانه وتعالى أكمل لهم دينهم بإفرادهم بالبلد الحرام وإجلاء المشركين . وقد بين العلماء المحققون معنى هذا الحديث ومعنى الآية.

والحمد لله رب العالمين .

المصادر :

السيرة النبوية: ابن هشام: الجزء الرابع

السيرة النبوية: ابن كثير: الجزء الرابع

الروض الأنف: السهيلي: الجزء الرابع

الطبقات الكبرى: ابن سعد

السير والمغازي: ابن إسحاق

الوسيط في السيرة النبوية والخلافة الراشدة: هاشم يحيى الملاح